

دراسات الأدب المعاصر، السنة الثامنة، شتاء ١٣٩٥، العدد الثاني والثلاثون: صص ١٢٥-١٤٠

دراسة النوستالوجيا وتجلياته في أشعار محمود درويش

احمد رضا يلمهها*

مسلم رجبى**

الملخص

لغة النوستالوجيا أو غصة الإغتراب من مصطلحات علم النفس التي قد دخلت في مجال الأدب. والوطن الذي إختاره محمود درويش في أشعاره كموضوع رئيسي، وهو العنصر الذي يسبب اشتهاار الشاعر وعولمته. لديه أشعار نوستالوجية لأجل البعد عن الوطن وذكرى أيام الطفولة الحلوة وأفته بالوطن المألوف وأيضاً البعد عن الأصدقاء والأقرباء وأيضاً الفوضى في الأبعاد الإقتصادية والإجتماعية. تناولت هذه الدراسة معتمدة على المنهج الوصفي- التحليلي بالبحث عن دفاثره الشعرية بإجلاء النوستالوجيا ومظاهره في شعر الشاعر الشهير محمود درويش، فنعرّف بمظاهر النوستالوجية في أشعاره. **الكلمات الدليلية:** النوستالوجيا، محمود درويش، البعد عن الوطن، البعد عن المعشوق، الحسرة لأيام الطفولة.

* عضو هيئة التدريس في قسم اللغة الفارسية وآدابها بجامعة آزاد الإسلامية، فرع دهاقان، دهاقان، إيران (أستاذ).

** طالب الدكتورا في فرع اللغة الفارسية وآدابها بجامعة الحكيم السبزواري، سبزواري، إيران.

المقدمة

إن النوستالوجيا إحساس طبيعي وعام وربما غريزي بين جميع أبناء البشر، وبالنسبة النفسية، وتظهر هذه النزعة عندما ينفصل الفرد عن أيامه الماضية. حيث يرجع إلى خلدته بالماضي وبمروره يصاب بنوع من حالة مأساوية والحزن مع اللذة المسكرة أو يصاب بالحنين الذي قد عبروا عنه في اللغة الفارسية أغلبية بالحنين للوطن وحسرة الماضي (انوشه، ١٣٨١: ١٣٩). معادل هذه الكلمة في اللغة العربية، هو الإغتراب والغربة والحنين (فيروز آبادي، ١٤٠٦: ١٦٣٠ ق). النوستالوجية كلمة فرنسية الأصل مأخوذة من بنيتين في اللغة اليونانية بمعنى العودة وبمعنى الألم والمأساة (بور افكارى، ١٣٨٢: ١٠١١). النوستالوجيا أو غصة الاغتراب بمعنى شعور يطبع بطابع مأساوي والحسرة بالنسبة لهذا الشيء الذي فاته الفرد. اللاوعي الجماعي في علم النفس (يونغ) مشتمل على: «تجارب الأجداد الاميين عبر سنوات عديدة كان أكثرها لم تكشف أو انعكاس الوقائع الماضية من العالم، من التاريخ الذي مضى اطلاقاً، قد يزيد إليه شيء قليل جدا فقط» (راس، ١٣٧٥: ٩٨). إن النوستالوجيا قد دخل من علم النفس إلى الأدب ويطلق في الدراسات الأدبية على نوع من الكتابة التي على أصلها أن الشاعر أو الكاتب في أنشودته أو في كتابته يصور زمناً ماضياً، أو بلد قد استحفظ في ذاكرته ويرسم ويجسد بالألم والحسرة. «النوستالوجيا» في أدبنا العتيق قد ظهر في آثار كثير من الشعراء والعرفاء نحو سنائي، عطار ومولوي، وأيضاً في الأدب المعاصر بسبب التطورات السريعة والمعجبة للحضارة والصناعة والإبتعاد عن الأصل، فعلى أثره نشاهد النوستالوجيا وغصة الاغتراب كثيراً بأعيننا. إن التأسف على الماضي من الموضوعات الشائعة في الشعر الفارسي (شميسا، ١٣٧٧: ١٣٧).

جرب جيل البشر في أغلبية، عفويًا أو غير عفويًا، الحسرة من فقدان في ذاكرته الجماعية أو الفردية.

الإنسان ليس راضيا من الوضع الراهن وأوضاع الزمن الذي يعيش فيه عموماً. وكل شخص قد كان مقترباً بنوع من هذا الحنين، في بعض الأحيان. يسمّى هذه الحالة الحنين للوطن أو غصة الإغتراب. ولو أن كان هذا المصطلح في البداية ذو علاقة بمجال علم النفس وكان قد يستخدم في علاج جنديين الذين مرضوا واصيبوا بالإكتئاب بسبب البعد

عن أسرتهم و بلدهم (تقى زاده، ١٣٨١: ٢٠٢). فى الحقيقة «النوستالوجيا» تُطلق على الحنين للوطن بأحلام قد يكون منشؤها العصر الصعب الذى قد مضى. إن المنهل والينبوع الذى لا يوجد وتجديده يفوق طاقتنا. عندما الأشخاص يواجهون فى عصر من حياتهم بالحواجز أو تواجه صحتهم بالخطر أو يطعنون فى السن، أول رد فعلهم يكون البحث عن طريق للهروب، أما فى أغلب الأحيان ولو إذ لم يوجد طريق للهروب من الحقيقة الموضوعية كانوا يتمنون الماضى الذى كان لهم فيه حياة رائعة (شاملو، ١٣٧٥: ١١).

هناك علاقة وطيدة بين الأدب الرومانسى والنوستالوجيا فى أدب الشعراء المعاصرين. «التألم من البيئة والزمن الموجود والهروب إلى أجواء أو أزمنة أخرى، الدعوة إلى الرحلة على أجنحة الخيال من خصائص الآثار الرومانسية، كل هذه الرحلات فى أمل للوصول والعتور عن البيئة الجميلة والفاخرة والألوان الحديثة والأخير ذلك الجمال هو المثالى (كمال المطلوب)» (سيد حسيني، ١٣٨١: ١٨١). الشاعر الشهير الرومانسى فى تحديد هذا الحس يقول: «إن الروح باكية تحت الصفاف. الروح التى هى مكانة الروحية فى انسان يعيش بعيداً عن داره وبيته الحقيقى فى هذه الدنيا» (لووى، ميشل ورابرت سه ير، ١٣٨٣: ١٣١). من أسباب إنشاء النوستالوجيا فى الشخص هى:

١. غصة فقدان والمعاناة لهجران أحد أعضاء العائلة. ذلك فى حد ذاته مثير للإغتراب والشعور بالنوستالوجيا؛

٢. النفى والسجن الذان يفضلهما الشاعر والكاتب لأجل عقيدته وفكرته.

٣. التحسر على الماضى الذى أثار الشعور بالغرابة والوحشة فى ذهنية الشاعر.

٤. النزوح لا سيّما حين يتذكر الشاعر وطنه ومولده الأسمى.

٥. تذكّر أيام الطفولة والشباب.

٦. الحزن وألم الشيخوخة، الخوف من الموت والفناء قد جعل كثيراً من الشعراء كسيحاً

وشيخاً (عالى عباس آباد، ١٣٨٧: ١٥٧).

إن هذه الدراسة تحاول أن تدرس مظاهر النوستالوجية فى شعر محمود درويش.

أسئلة البحث

(الف) هل أراد محمود درويش كشف مكونات ومقومات النوستالوجيا فى شعره؟

(ب) ما هي العوامل التي قربت شعره بالشعور النستولوجي؟
(ج) ما هو منشأ أشعاره النوستالوجية حول الوطن؟

نظرية البحث

يبدو أنّ محمود درويش قد استخدم النوستالوجية في أشعاره بشكل واسع ومكونات النوستالوجيا نحو الحزن للبعد من البلد، الحسرة لأيام الطفولة والنشوء، الغصة للبعد عن الوطن والأحزان الاجتماعية موجوداً في أشعاره. قد يمكن أن نفترض أنّ النفي والبعد عن الوطن قد خيّمَا على أشعاره أكثر من المظاهر الأخرى. مع أن هذا البحث الحاضر، سيوجب على جميع الأسئلة إجابة واضحة مشرقة.

خلفية البحث

لقد تحققت دراسات عديدة حول حياة محمود درويش وشعره منها:
مجيدى حسن، *جان نثارى فرشته* (١٤٣٢ق): «الخصائص الفنية لمضامين شعر محمود درويش»، اضاءات نقديه؛
زارع زرديني، *مرضيه* (١٣٨٨ش): «ظاهرة التناس في لغة محمود درويش الشعرية»، دراسات الأدب المعاصر؛
رسول نيا، *اميرحسين وآقاجاني، مريم* (١٣٩١ش): «الصمود وعدم القبول في شعر محمود درويش وموسوى گرمارودي»، الأدب العربي (كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طهران)؛
نجاريان، *محمد رضا* (١٣٨٨ش): «اصول أدب المقاومة في شعر محمود درويش»، أدب المقاومة؛ ولكن لم يتم حتى الآن دراسة مستقلة حول «النوستالوجية» وشعر محمود درويش. إن محمود درويش يُعبّرُ كشاعر مذهب الرومانسية في الأدب العربي المعاصر. وهو قد استفاد من النوستالوجية باعتباره نوعاً من الأصول الرئيسية والضرورية في شعره استفادةً كثيرةً. نقوم في هذه الدراسة بمقارنة مضامين النوستالوجيا الموجودة في شعر محمود درويش والمصادر ذات علاقة بالنوستالوجيا معتمدين على المنهج الوصفي- التحليلي بمراجعته دفاتره الشعرية.

فكرة النوستالوجية في شعر محمود درويش

إن محمود درويش المشهور بمجنون التراب شاعر فلسطيني ولد في ١٣ مارس ١٩٤١م، ما يعادله ١٣٢٠ ش في القرية "بروه" قرب مدينة عكا في أسرة كبيرة (درويش، ١٣٩١: ٩)، وحاول في الثاني عشر من عمره إنشاد الشعر ومن ذلك الزمن يعنى من الستينات تابع النظم في فلسطين بجد. إنه أحد من المتشردين الفلسطينيين الذين هاجروا مع أسرهم إلى لبنان، وما لبث أن عاد إلى الوطن ولكن عاش في وطنه مثل اللاجئين وكان يعتقد التوحد وصعوبة الإلتجاء إلى الوطن أكثر قيمةً من الإلتجاء إلى بلد آخر (خليل حجا، ١٩٩٩: ٤٧٠). كتب هو في أيام حياته وأنشد حوالي ٥٥ عام الشعر وقد بقي منه عشرون مجموعة شعريه وعدة مؤلفات تذكاريًا. في الزمن الذي أخذ على عاتقه رئاسة اتحاد الكاتيبين الفلسطينيين، وبدأ سعيًا بإصدار صحيفة فصلية المسمى ب«الكرمل» (سامي اليوسفى، ١٣٨٤: ٢٠).

إن محمود درويش من رواد وفحول الشعراء العرب المعاصرين (السكاف، ٢٠٠٨: ١). في الحقيقة الشهرة والعولمة وقضية الوطن أدت بدورها أن يختار محمود درويش قضية الوطن بصفة موضوع أساسى (فيصل الأحد، ٢٠٠٨: ١). في الحقيقة أن الشاعر يحى في شعر محمود درويش وبدلاً منه يستبدل حلم الفلسطينيين الحر (شفيعى كدكنى، ١٣٥٩: ٢١٠). في الحقيقة الأدباء قد يعدّون شعره رقص اللغة وترسيم الصورة بالكلمات (فيصل الأحد، ٢٠٠٨: ٢). إن محمود درويش قد تأثر في الشعر بالشعراء الكبار نحو *السياب*، *البياتى*، *عبدالصبور*، *أدونيس* و*الحاوى*؛ ومن خصائص شعره يمكن الإشارة إلى المكافحة بحكم اسرائيل والبعد من أىّ رثاء وحيلة (شكرى، ١٣٦٦: ٤٦٤).

إذا وضعنا آثاره تحت مجهر النقد، يمكن القول بأنه مرت على أشعاره ثلاثة من المراحل المتنوعة والمختلفة: ١. الإقامة في الوطن حتى عام ١٣٦٩ ش، ٢. النفى من بلده والخروج عن بيروت، ٣. إدراك الحكمة والآراء الفلسفية. يعنى أن في المرحلة الأولى، هو الشاعر الفلسطيني فقط لأن صبغة شعره غنائى ومأساوى، وشعره تدريجاً بعد إنقضاء البعد النفى يقلل من غنائه ويسوق إلى جانب الأسطورة (الموسى، ٢٠٠٨: ٤). ومن آثاره قد يمكن الإشارة إلى «يوميات الحزن العادى، شىء عن الوطن، وداعاً أيها الحرب وداعاً أيها السلم، عابرون في كلام عابر، عاشق من فلسطين، آخر الليل، أوراق زيتون و...». وفي

النهاية مات هذا الشاعر في ٦٧ من عمره في عام ٢٠٠٨ م في مدينة هرستون بمحافظة تجزاس بأمريكا بسبب عملية جراحية. يكتب/الدكتور محمود حمود: «إن سرّ شعري للدرويش، الوحدة بين الوطن والحب والشعر» (حود، ١٩٩٦: ٣٤٢).

ليس لدىّ أيّ دور في الشعر
إلاّ استكانة بضرب الموسيقى الشعر
حركة العواطف
في ميدان الحس
يشكل الحس
و ينزل في ساحة الإدراك المعنى

(درويش، ١٣٩٥: ٧٥)

نفس محمود درويش يقول حول اللغة الشعرية أن يتمتع بصفة السهولة والوضوح:

قصائدنا بلا لَوْنٍ
بلا طَعْمٍ...
بلا صَوْتٍ
إِذَا تَحْمِلُ الصَّبَّاحَ مِنْ بَيْتٍ إِلَى بَيْتٍ
وَأَنْ لَمْ يَفْهَمْ البُسْطَاءَ مَعَانِيَهَا
فَأَوْلَى أَنْ نَدْرِيبَهَا
وَتَخْلُدُ نَحْنُ... لِلصَّمْتِ
(محمود درويش ٢٠٠٠: ٢٨/١)

ولا تعتمد هذا الشاعر في استخدام الألفاظ الصناعية والكلمات المتكلفة بل يختار كلمات ليقوى الموسيقى الباطنية للقصيدة، من ثمّ يكون لسان شعره حرّاً وليس له أيّ دافع لإستخدام الكلمات الغريبة لأجل ضرورة القافية (بيضون، ١٩٩١: ٨٥).

نوستالوجية البعد عن الوطن

البعد عن الوطن يمكن أن يصطبغ بصبغة روحية. في الحقيقة (أرواحنا ذرة من الإضاءة التي قد أفيض في هيكل مظلم للجسم، بعيداً عن أصله ويجب عليه أن يعود إلى مكانته

الأصلية) (دستغيب، ١٣٧٣: ٢٢١). إن البشر يحاولون ليعرفوا أنفسهم من طريق حس مكاني، وليعلموا أنه منهلاً لهويتهم (كرانغ، ١٣٨٣: ١٤٤). يتصل المكان بالحياة، تاريخ القيم، الأحاسيس والعلاقات الاجتماعية وأسلوب إنتاج الناس (حافظ نيا، ١٣٨٥: ١٥٧). بناء على هذا، يحدث الأمكنة مركزاً فيها القواسم العاطفية والنفسية بين الناس (شكوي، ١٣٨٧: ٢٦٣). الإفلاس أو إخلال يحصل من طريق انفصال متوقع أو واقعية من بيئة الدار والمعيشة. يعبر عنه في علم النفس بغصة الاغتراب. في مجال الأدب حينما يتبلور في تجربة شاعر أو كاتب نوع من الشعور بالحنين مع الحسرة والإضطراب لبلده، يسمى بشخص مغترب والحنين للوطن. هذا ينطبق على شخصية محمود درويش. وهو أحد من الشعراء البارعين وذو قوة كبيرة في الأدب العربي المعاصر.

إن جذور غصة الإغتراب في العرفان. كأنّ لديه ألم باتساع العالم، ألم يعنى أن هذا الألم خالد. هذا الألم لديه لون من الغصة والصمت والهدوء. هو عالم معزول فنان مراوغ وشاعر برشاقة وردة (عابدي، ١٣٧٩: ٦٦)؛ ومن ثمّ أحرقت المحتلون الإسرائيليون عام ١٩٤٨م محل ميلاده حيث أثار هذا الحادث تأثيراً كبيراً على طبع الشاعر ويقول حول هذه الحادثة: «ذلك الليل التشرّد والهروب، كان حافة لطفولتي وشيخوختي... وحينما بلغت السنة السابعة من عمري، في ليل رأيت نفسي مرافقاً لمئات من القرويين، الذين عادوا في الغابة والرصاصة تذهب من فوق رأسنا. وبعد ليل التجوّل والهروب، مع أحد من أقربائي الذين أصبحوا متفرقين ومفقودين في كل مكان وصلت إلى قرية مجهولة وسألت من نفسي، إلى أين؟ وسمعت لأول مرة كلمة لبنان» (بيضون، ١٩٩١: ١٣ و ١٢).

ويكتب ويتابع: «وأنا كنت أعيش في الظروف التي تنتابني تقريباً إلى نفي من بلد كأنه طلب نفسي حوالى عامين، ولم أكن مسموحاً بالخروج من حيفا وإضافة إلى ذلك كنت ثلاث سنوات في السجن. وبعد المهجرة ذهبت لإستمرار الدرس في الجامعة بمسكو، فسكنت عامين في القاهرة وبعد عشر سنوات في بيروت، وعشت عدة سنوات في باريس وعدت إلى عمان ومن هنا جئت في سنة ١٩٩٦ إلى رام الله» (نفس المصدر، ١٩٩١: ١٣). إن محمود درويش لديه حب كثير للوطن وأيضاً يقدم حياته رهين بصمود الوطن وقد أنشد: «أنا جُدورٌ، لا تعيشُ بغيرِ الأرض» (درويش، ٢٠٠: ١ / ١١١). إن في الحقيقة محمود درويش يحب وطنه ويراقبه كنفس ثمين. في الحقيقة فلسطين كلمة لا تنقش عن فكر

خلده وشعر هذا الشاعر. الغصة التي تؤلم وتؤذى نفس الشاعر سوى الفراق والبعد عنها، هو في اشتراط كون الوطن، الذي قد جرحه جداً في سدّ كونه:

وَطَنِي
أَيُّهَا النَّسْرُ الَّذِي يَرْسِفُ فِي أَعْلَالٍ مِنْ دُونَ سَبَبٍ
لَمْ يَزَلْ مِنْقَارُكَ الْأَحْمَرَ فِي عَيْنِي
سَيِّفًا مِنْ لَهَبٍ

(درويش، ١٣٨٥: ٢٤)

وعلى حد تعبير محمد حمود(وطن) لمحمود درويش هو المعشوق وهويته(حمود، ١٩٩٦: ٣٤٢). إن لسانه للدفاع عن وطنه يكون ملحمياً ولكن لون حزين قد طرأ على وجه شعره. في الحقيقة محمود درويش يجمع كلامه بين حزن مأساوي ورهبة ملحمية(عباس، ٢٠٠١: ٥٥)، وهو يشعر بالحزن عميقاً حينما يشاهد مغادرة الفلسطينيين وطنهم ودخول الصهاينة إلى تراب وطنه، من ميناء وينشد هكذا غريباً حزيناً:

رَأَيْتَكَ أَمْسَ فِي الْمِينَاءِ
مَسَافِرَةً بِلَاءِ أَهْلِ... بِلَا زَادٍ
لِمَاذَا تُسْحَبُ الْبِيَارَةُ الْخَضْرَاءُ
إِلَى سِجْنٍ إِلَى مَنْفَى إِلَى مِينَاءِ

(درويش، ٢٠٠٠: ٤١/١)

كأن مع احتلال أرضه يرغب في خلق وطن مع كلمات لينمو كل مظاهر الطبيعة فيها. لذلك يذكر في أقواله زيتون الذي هو رمز لأرض فلسطين: «لِي قَمَرٌ فِي أَقَاصِي الْكَلَامِ وَرَزَقُ طَيُورٍ وَزَيْتُونَةٍ خَالِدَةٍ»(درويش، ٢٠٠٠: ٤٨٨/٢). لا يخفى على أحد أن اتصال الوطن والمعشوق في شعر محمود درويش يعتبر من النقاط الهامة التي قد أكّد منتقدو الشعر العرب عليها. وحب الوطن في شعره يصل إلى الوحدة والاتحاد. الوطن يصبح معشوقاً والمعشوق يصبح وطناً. سرّ شعري لمحمود درويش هو الوحدة بين الوطن والحب والشعر حيث أن بعض الأحيان يجلس بعضها مكان البعض الآخر دون خلل ويتصور البعض بعضاً آخر. انظروا إلى هذه الأبيات على سبيل المثال:

حينما أموت يحبك

حينما يحبك
أعلم أننى أموت
ثم كن سيده
وكن أرضاً...

(درويش، ١٣٨٥: ٢٠)

جديرة بالذكر هى أن اتصال الحب بالأرض قد يلاحظ فى شعر الشعراء ما بعد
الدرويش نحو عبد الرحيم محمود، و/براهيم طوقان (جبرا، ١٩٨٢: ١٦٣). كما يشاهد تعبير
الدرويش النوستالوجى حول الوطن وانه لديه منهلان وسببان، الأول هو الفراق والثانى
الوطن والزمن الذى كان أسيراً وأدى به هذا الأمر إلى شعور عميق نوستالوجى بالنسبة
لوطنه ويندب فى فراقه.

النوستالوجية الطفولة

من الطبيعى أن الإنسان مع تذكّار ذكرياته الماضية الحلوة يصاب بالألم أو نوع من
النوستالوجيا. الشاعر يحاول حتى انخفض فى أحلام الطفولة والصدق والنظافة ليسكن
نفسها مع اشارة ذكرى تلك الأيام (ترايبى، ١٣٧٦: ٢٢٢). ومما لا شكّ فيه أنّ الفرد الذى قد
فقد هدوءه الروحى وبساطة الحياة القروية واتحداها بالطبيعة يشعر بنوع من الحزن، وذلك
نتيجة اتصالها بالحياة الصناعية. ويرغب فى الهروب إلى مكان غير معيّن مثلاً الطفولة أو
الأحلام والهيام؛ الفرد الذى عطشان للعودة إلى سفح الطبيعة والحياة الطليقة والحرّة عن
الحزن وارتباك (ثروت، ١٣٨٧: ٧٧).

إن حزن محمود درويش وجوّ النوستالوجيا لطفولته كان مؤلماً جداً. ويتورّق فى الخلد
كدفتر مرحلة طفولته، شديد الإحساس بل أكثر. ويذكر هكذا من موسم طفولته الحلوة
وأيضاً ملاطفة أمه. ويكون حينئذٍ إليه جداً. ولا يستطيع أىّ زمان أن ينسى حرارة خبز
الذى كان قد طبخ بأيدى أمه الحنون وأيضاً حرارة نار القهوة التى قد جهزت أمه بحبّ
كامل له:

أصبحت متشوقة إلى خبز أمى
وقهوة أمى

وملاطفتها اياه
وكبر يوماً بعد يوم الطفولة فيَّ
أنا أحب أيام عمري
لأنه حتى لو قد كنت ميتاً
تخجل من دمعة أمي

(درويش، ١٣٨٩: ٤٤)

لذلك في أشعار يريد من أمه لتعود إلى الدنيا مرة أخرى لإستمتاع بحب أمه ليتولد
من جديد لكي يسكن في حضن أمه لأنه أنشد لتلك الأيام الآمنة هكذا:

ولدتني في هذه الدنيا
لكي أحتسى حليب البلاد
لأبقى على ساعديك كالطفل
لأبقى طفلاً
حتى دوماً، دوماً
رأيتك كثيراً
ولدتني في هذه الدنيا
لكي أبقى على أيديك

(درويش، ١٣٨٥: ٣٦)

وهو يذكر في قصيدة «أنا يوسف يا أبي» المعاملة السيئة التي كان قد تعرض لها في
فترة طفولته ومن أعرب بالنسبة لأقربائه عن قلقه عن هذه الفترة هكذا:

أنا يُوسُفُ يا أبي إِخوتِي لا يُحِبُّونُنِي بَيْنَهُمْ
يا أبي يَعْتَدُونَ عَلَيَّ وَيَرْمُونُنِي بِالْحَصَى وَالْكَلامِ يُرِيدُونُنِي أَنْ أَموتَ
لِكي يَمْدُحُونِي وَسَدُّوا بابَ بَيْتِكَ دُونِي وَهُمْ طَرَدُونِي مِنَ الْحَقْلِ
هُمْ سَمَّوا عَنبِي وَهُمْ حَطَّمُوا لَعْبِي يا أبي
حِينَ مَرَّ النَّسِيمِ وَلاَعَبَ شَعْرِي
غَارُوا وَثَارُوا وَعَلَى وَثَارُوا عَلَيكَ فَمَا صَنَعْتَ لَهُمْ أَبِي

(درويش، ٢٠٠٠: ٣٥٩/٢)

كما يلاحظ ذكريات مرة وحلوة لأيام الطفولة، وأيضاً إنقضاء أيام الشباب الحلوة ومرورها قد اندفع الشاعر فى داء مؤلم قد أنشد أشعار مؤسفة هكذا.

نوستالوجية البعد عن المعشوق

ويتحيرّ ويدهش الشاعر حول ماهية وكون الحب، ويسأل من نفسه هكذا:
يا أيها الحب من أنت؟
كم مقدار أنت، نفس الأنت
وكم مقدار أنت ليس أنت
...نحن نحبك
حينما نحب من أجل حادث عرضيّ

(درويش، ١٣٩٠: ٨٢)

ثم يوجد أقصى أمنية وإنهاء مثاليته لكى يتكلم من الحب ولكى ينشد فى شعره منها: أتمنى أن أكون شاعراً للحب وأتمنى ليؤذن ظروف التاريخية أن أكون شاعر الحب. لأنّ الحب أجمل شىء يكتب فى الشعر لا نهاية للحب (وازن، ١٣٨٩: ١٠٢). ثم يذكر هكذا من مغامرة حبه ومودته المخفية التى قد نشأ من الصداقة وطهارته:
قد يمكن أن لا أحبه
إلى الدمية التى قد سأل منى كم الساعة؟

(درويش، ١٣٩٠: ٧٩)

ويذكر حتى لحظة الفراق والإفتراق عن معشوقته هكذا، ويؤذى رغبة نفسه المرة جداً ويؤذى روحه مع تذكّار هذه المغامرة:
يا أسود العين
حُذْنِي كَيْفَ نَتَفَرَّقُ

(درويش، ٢٠٠٠: ٢٦/١)

وهو يخاطب إلى معشوقته هكذا حبيّاً يتكلم:
جئت جانب حياتى
كالحديقة من حدائق القيصر

الأغنياء أبقوا لنا أيّ أشجار
وأنا جنيت مخفياً أيّ زنايق
من سياجك
كم مقدار
كنت إلى صورته ومعناه
في ارتفاع الشجرة

(درويش، ١٣٩٥: ٥٣)

وهو يريد ذلك الكتابة والأنشودة التي ليعرض إلى معشوقته التي لكي يحبه وبما فيه الكفاية:

سأكتب
ليس شيئاً إلا الكتابة
ليثبت أحبك...
لأنّ الكتابة يثبت
إني أحبك

(درويش، ١٣٨٥: ٧٨)

جدير بالذكر أنّ الوطن من المعشوقات الشعرية للشاعر، وقلنا إن الحب والوطن قد إتصلا معاً وبعض الأحيان يصبح واحداً:
أرجوك سيّدتي الأرض
أن تُخصّني عُمرِي المّتمايل
بين سؤاليين
كيف؟ وأين

(درويش ١٩٩٤: ٣٤٦/١)

النوستالوجية الإجتماعية

إنّ ألم المجتمع من النقاط الأصلية للمضامين الشعرية في شعر محمود درويش، فهو يحاول لبناء مجتمع مزدهر ومملوء بالرجاء والحياة والتحرك. إنه مالك لعاطفة عميقة

وأيضاً متمتع من قلب وسيع وذو وجهات النظر الإنسانية والبشرى. وهو من جانب شاعر كثير المودة بالنسبة إلى شعبه وأسرته (النقاش، ١٩٧٢: ٩٠٩). وهو لا يستطيع أن يسكت أمام إجحافات والظلم لحقوق الآخرين لذا يتحذر لحقوق الآخرين بلسان أسود ومرّ وكبح، أشخاص غير مدرك وغير متنبه ويحذرهم من إستيائهم وغضبهم:

أنا لا أكره الناس
ولا أسطو على أحدٍ
ولكننى... إذا ما جعتُ
أكل لحمٍ مُغتصبي
حذار... حذار... من وجعى
ومن غضبى

(درويش، ٢٠٠٠: ٣٧/١)

وهو حتى يتكلم من عدم وجود المودة والعاطفة بين الناس والمجتمع هكذا:

أنا يوسف يا أبى... أنت سميت لى يوسف
وهم جعلونى فى البئر
وأتهموا الذئب

(درويش، ١٣٨٥: ٣٢)

ثم يرسم قصارى كراهيته من عدم وجود العاطفة والإنسانية هكذا:

الذئب أرحم من إخوتى... أبتِ
هل جنيت على أحدٍ

(درويش ٢٠٠٠: ٣٥٩)

كما يلاحظ أن الشاعر لأجلها لا يستسلم أمامها لحظة وفى انتظار غد ليرجع وينقذ المجتمع من تلوث أى غموض وفساد.

نتيجة البحث

النوستالوجية أو الحنين للماضى حالة نفسية تظهر فى الشخص عن غير شعور وتتبدل إلى الفكرة. فى مجال الأدب يحدث هذه الحالة للشاعر أو الكاتب الذى يصيب بالملل من

زمن الحال إثر الدوافع الفردية والأوضاع الإجتماعية والسياسية، ويتصور فكرة العودة إلى الماضي وذكرياته الحلوة، ثم كان يبدي شعره أو كتابته مزيجاً بالجو الحزين. إن محمود درويش بصفة شاعر شهير للأدب العربي المعاصر ورائد المذهب الرومانسي الأدبي مع العناية بالظروف الفردية والاجتماعية في عصره وبالهروب من أجواء زمانه، فقد تمزج شعره بالغصة والحسرة والحنين للماضي.

إنه بصفة شاعر للمذهب الرومانسي قد إستفاد في شعره من النوستالوجية كإحدى العناصر الرئيسية والضرورية. إن دراسة شعره في ساحة النوستالوجية ذو مظاهر مختلفة. المظاهر النوستالوجية الشعرية المستعملة في شعره يمكن تلخيصها في نقاط نحو البعد عن الوطن، الطفولة والشباب والبعد عن المعشوق وتخريب القِيم و... وهو استفاد من النوستالوجي كأصل أساسي في شعره.

المراجع والمصادر

- انوشه، حسن. ١٣٧٦ش، فرهنگنامه ادبی فارسی، تهران: سازمان چاپ و انتشارات.
- بیضون، حیدر توفیق. ١٩٩١م، محمود درویش شاعر الأرض المحتلة، بیروت: دار الکتب العلمیه.
- پور افکاری، نصرت الله. ١٣٨٢ش، فرهنگ جامع روان شناسی و روان پزشکی انگلیسی - فارسی، تهران: فرهنگ معاصر.
- ثروت، منصور. ١٣٨٥ش، آشنایی با مکتب‌های ادبی، تهران: سخن.
- جبرا ابراهیم جبرا. ١٩٨٢م، النار والجوهر، بیروت: المؤسسة العربیة للدراسات والنشر. شکری، غالی. ١٣٦٦ش، ادب مقاومت، تهران: نشر نو.
- جحا، خلیل میثال. ١٩٩٩م، أعلام الشعر العربی الحديث، بیروت: دار العوده.
- جحا، خلیل میثال. ١٩٩٩م، الشعر العربی الحديث من احمد شوقی إلى محمود درویش، بیروت: دار العوده.
- حافظ نیا، محمدرضا. ١٣٨٥ش، اصول و مفاهیم ژئوپلتیک، مشهد: پاپلی.
- حمود، محمد. ١٩٩٦م، الحدائة فی الشعر العربی المعاصر، بیروت: چره الکو.
- درویش، محمود. ١٣٥٨ش، آخر شب، ترجمه موسی اسوار، تهران: سروش.
- درویش، محمود. ١٣٨٥ش، من یوسفم پدر، ترجمه عبدالرضا رضایی نیا، تهران: مرکز.
- درویش، محمود. ١٣٨٩ش، اگر باران نیستی نازنین درخت باش، ترجمه موسی اسوار، تهران: سخن.
- درویش، محمود. ١٣٩٠ش، روزانه‌های بنفشه، ترجمه عبدالرضا رضایی نیا، تهران: فصل پنجم.
- درویش، محمود. ١٣٩١ش، شعرهای همسایه، به همت حمزه کوتی، تهران: افراز.
- درویش، محمود. ١٩٩٤م، دیوان محمود درویش، ج ١ و ٢، بیروت: دار العوده.
- درویش، محمود. ٢٠٠٠م، دیوان، المجلد اول، بیروت: دار الحرية للطباعة والنشر.
- دستغیب، عبدالعلی. ١٣٧٣ش، نگاهی به مهدی اخوان ثالث، تهران: مروارید.
- سه یر، رابرت ولووی، میشل. ١٣٨٣ش، رمانتیسیم و تفکر اجتماعی، تهران: ارغنون.
- سید حسینی، رضا. ١٣٨١ش، مکتب‌های ادبی، تهران: زرنگار.
- شاملو، سعید. ١٣٥٧ش، آسیب روان شناسی، تهران: نگاه.
- شفیعی کدکنی، محمدرضا. ١٣٤٨ش، آوازه‌های سندباد، تهران: نیل.
- شفیعی کدکنی، محمدرضا. ١٣٥٩ش، شعر معاصر، تهران: توس.
- شکوئی، حسین. ١٣٨٧ش، اندیشه‌های نو در فلسفه جغرافیا، تهران: مؤسسه جغرافیایی و کارتوگرافی و گیتاشناسی.
- شمیسا، سیروس. ١٣٧٧ش، نگاهی به فروغ، تهران: مروارید.

عابدی، کامیار. ۱۳۷۹ش، **شبان بزرگ امید**، تهران: نادر.
عباس، احسان. ۲۰۰۱م، **اتجاهات الشعر العربي المعاصر**، اردن: دار الشروق.
کرانک، مایک. ۱۳۸۳ش، **جغرافیای فرهنگي**، ترجمه مهدی قرخلو، تهران: سمت.
نابلسی، شاکر. ۱۹۸۷م، **مجنون التراب**، ترجمه صغری دهشت، بیروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
النقاش، رجاء. ۱۹۷۲م، **محمود درویش**، بیروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
وازن، عبده. ۱۳۸۹ش، **هر روز زاده می شوم**، گفت وگو با محمود درویش و گزیده اشعارش، تهران: جاوید.

المقالات

تقی زاده، صفدر. ۱۳۸۱ش، «نوستالژی»، مجله فرهنگ و هنر بخارا، شماره ۲۴، صص ۲۰۵-۲۰۱.
سامی الیوسف، یوسف. ۲۰۰۸م، «محمود درویش هذا الشهيد الأكبر»، دمشق: مجلة الأسبوع الأدبی.
عالی عباس آباد، یوسف. ۱۳۸۷ش، «غم غربت در شعر معاصر»، نشریه گوهر گویا، ش ۶، صص ۱۸۰-۱۵۵.